**-الدّرس رقم-(2):تاريخ علم الأصوات عند القدماء(1)**

**تمهيد:**

علم الأصوات Phonétique علم جديد قديم، فهو جديد لأنه واحد من فروع علم اللغة بالمفهوم الحديث عند الغرب، الذي لا يعدو تأسيسهُ مطلعَ هذا القرن على يد اللغوي السويسري فردينان دوسوسير (1857 ـ 1913). وقديمٌ لأنه واحد من العلوم التي تقوم عليها كل لغة،فهي كما عرّفها **ابن جني:** « **أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم**»([[1]](#footnote-2)). والصوت كما قال **الجاحظ**: «**هو آلة اللفظ، والجوهرُ الذي يقوم به التقطيع، وبه يوجد التأليف، ولن تكون حركات اللسان لفظاً ولا كلاماً موزوناً ولا منثوراً إلا بظهور الصوت. ولا تكون الحروف كلاماً إلا بالتقطيع والتأليف**»([[2]](#footnote-3)).

لقد اعتنت مختلف الشعوب بأصوات لغاتهم منذ أقدم العصور، من ذلك ما عُرف عن قدماء **اليونان كأفلاطون وأرسطو** من ملاحظات صوتية متناثرة، وكذا ما ورد عن **قدماء الرومان** أمثال **بريسكيان وترنتيانوس**. أما **الهنود** فكانوا أكثر اتساعاً وأعمق أثراً في آرائهم الصوتية، وهم أول من نظر إلى الدراسات الصوتية على أنها **فرع مستقل من فروع علم اللغة**، واشتهر منهم **بانيني\***بكتابه **المسمى Ashtadhyayi**([[3]](#footnote-4)).

**1-علم الأصوات عند العرب:**

إنّ الدافع إلى الدراسة اللغوية عامة عند العرب هو السعي الحثيث للمحافظة على القرآن الكريم ، وعلى لغته ، وتزيد صدقية هذا الدافع أكثر عندما يتعلق الأمر بالدرس الصوتي. ذلك أنّ أوّل فكر وصل إلينا في هذا الإطار هو محاولات أبي الأسود الدؤلي(69هـ) ، حيث وضع رموزا لقسم كبير من الأصوات ، كانت مهملة كتابتها في الكتابة السامية وهي الحركات. حيث أحسّ وزملاؤه أنّ من أسباب الخطأ في قراءة القرآن-بعد تفشي اللحن وفساد السليقة-عدم وجود تلك الرموز الدالة على الحركات ، فقام بمحاولته لتسجيل وضبط النطق الجيد والصحيح للأصوات في سياقاتها.وبهذا يكون أبو الأسود الدؤلي قد فتح بابا لا يستهان به في سبيل التمييز بين الصوائت والصوامت ، وتنبيه قيّم لدورها في الكلمات.

لقد خطى العرب المسلمون بعده وبهذه الدراسات الصوتية خطوات واسعة، وهذا باعتراف الدارسين من الغربيين(المستشرقين وغيرهم) ، حتى قال قائلهم:«لم يسبق الأوربيين في هذا العلم إلا قومان العرب والهنود»([[4]](#footnote-5)). وقال المستشرق الألماني شادِه عن الأصوات عند سيبويه: «فيستحق ما قد وصل إليه من غايات علم الأصوات أن نعتبرهكما أجمع على تسميته كل من درسه من علماء الشرق والغرب مفخراً من أعظم مفاخر العرب»([[5]](#footnote-6)).

ومع أن علم الأصوات لم يعرف بهذا الاسم عند العرب إلا في مرحلة لاحقة، فإنه لم يغب عن مصنفات المتقدمين من علماء العربية :نحوها وصرفها وعروضها وبلاغتها وموسوعاتها الأدبية، والطب والحكمة والموسيقى والقراءة والتجويد... ذلك أنه مازج هذه العلوم المختلفة وداخَلَها حتى لا تكاد تقع على كتاب فيها يخلو من كلام في المباحث الصوتية.

ويمكن أن نصنّف العلوم التي أسهمت ولو على نحوٍ ما في علم الأصوات، في زمرٍ أربع ، تتوزّع في شكل مدارس صوتية:

1 ـ علوم العربية: النحو والصرف.

2-البلاغة والعروض والموسيقى.

3 ـ علوم الحكمة والفلسفة والطب.

4 ـ علوم القراءات القرآنية والتجويد.

1. 1- الخصائص 1/33. [↑](#footnote-ref-2)
2. 2- البيان والتبيين 1/79. [↑](#footnote-ref-3)
3. 3- علم اللغة، ص: 87 ـ 88’, والبحث اللغوي عند العرب، ص: 342 ـ 343.

\*وبانيني نحوي هندي، لعله الأقدم في العالم،كما تقدر دائرة المعارف البريطانية، إذ يعود إلى القرن السادس

أوالخامس قبل الميلاد. انظر (في الأصوات اللغوية ـ دراسة في أصوات المد العربية، فاضل المطلبي ) 64. [↑](#footnote-ref-4)
4. 4- من كلمة للمستشرق الألماني برجشتراسر في كتابه التطور النحوي للغة العربية، وقريب منها قول فيرث الإنكليزي في قوله : إن علم الأصوات قد نما وشبّ في خدمة لغتين مقدستين هما السنسكريتية والعربية. البحث اللغوي عند العرب 101. [↑](#footnote-ref-5)
5. 5- من محاضرة له بعنوان: علم الأصوات عند سيبويه وعندنا، نقلاً عن مقدمة كتاب ما ذكره الكوفيون عن الإدغام 38. [↑](#footnote-ref-6)